تطويعُ المفاهيمِ البلاغيةِ معماريًا ـ الاقتباس والتضمين أنموذجا

د.عماد يونس لافي العاني
جامعة بغداد ـ كلية التربية للبنات

ملخص البحث

الاقتباس والتضمين من المصطلحات المعروفة في البلاغة العربية، والاقتباس هو أن يضَمِّن المتكلم كلامه كلمة من آية أو آية من كتاب الله خاصّة ومنهم من لم يكتفِ بذلك، فزاد على القرآن والحديث الاقتباس من مسائل الفقه والعلوم الأخرى، كالنحو والعروض والمنطق وغيرها.وأما التضمين فيعني تضمين الشاعر شعره والناثر نثره كلامًا آخر لغيره قصدًا للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود. ومن الضروري أن يشير الشاعر أو الناثر إلى هذا الأخذ لكي لا يعد من السرقات الأدبية.

هذا البحث استعمل مفهوم هذين المصطلحين في العمارة، فأصبح لدينا مصطلحان جديدان؛ الأول هو (الاقتباس المعماري) ويعني أن يعمد المصمم إلى أخذ جزء من بناء ديني أو تأريخي ليجعله في تصميم جديد، وكذلك يمكن للمصمم المعماري أن يقتبس بعض المفاهيم كما هو الحال مع الشاعر أو الناثر من علوم ومعارف أخرى ليضمنها تصميمه الجديد كالفيزياء والرياضيات والمدارس النقدية الحديثة كالتفكيكية وغيرها.

أما التضمين المعماري فيعني أن المصمم يأخذ جزءا من تصميم معماري حديث أو معاصر ليضمنه تصميمه الجديد، وعليه أن يوضح هذا الأمر لكي لا يقع في فخ السرقات المعمارية.

وقد أثبت البحث أن بالإمكان تطويع بعض المفاهيم البلاغية معماريا ومنها الاقتباس والتضمين وذلك بعرض نماذج معمارية مختلفة تضمنت هذين المعنيين، وبذلك نكون قد أثبتنا أن هذه اللغة العظيمة نبع لا ينضب نستطيع من خلال علومها المختلفة أن نمد العلوم الأخرى والعمارة على وجه التحديد بالمفاهيم والمعارف الجديدة التي تؤهل أهلها للإبداع المعماري معتمدين على الغنى الذي تزودهم به هذه اللغة الفريدة.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن هذا الكلام لم يبق في حيّزه النظري وإنما طبق بصورة عملية عند تدريس طلبة الدراسات العليا في قسم الهندسة المعمارية مادة اللغة والعمارة على الصورة التي ذكرتها آنفا.

Adapting the rhetorical concepts architecturally
Excerption and inclusion as example

Dr. Emad Younis Lafi
University of Baghdad - College of Education for Women

Abstract

Excerption and inclusion are two terms in Arabic rhetoric. The excerption is defined as a taking a part of text from Holly Quran or Hadith and put it in a poem, verse line, or put it in a prose text. But the linguistics expand the concept of this term to include taking from another sciences and knowledge, like Grammar, Philology, and Prosody.

Inclusion is defined as taking a verse line or part of verse line from another poet to put it in a new poem, it is necessary that the poet who take the text should declare it, and if he hides it, it will be plagiarism.

This search is use these two terms in architecture, we have now new two terms in architecture, first one; architectural excerption, it means the designer takes a part of religious or historical building and put it in his new design. The designer also can take from another sciences and knowledge, like physics, mathematics, or schools of modern criticism like deconstruction, to put his new design. The second term (architectural inclusion) means the designer takes a part of another modern design, neither religious nor historical, if he hides this, it is considered as architectural plagiarism.

The search is proved that there are many architectural designs which include the meaning of these two terms.

المقدمة

تعددت الآراء في علاقة اللغة بالعمارة، وذهب أصحابها مذاهب شتى، فمنهم من رأى أن العمارة تجري على وفق قواعد لا تبتعد كثيرًا عن قواعد اللغات، ومنهم من اعتمد على ما جاءت به المدارس النقدية الحديثة، فذهب إلى أن العمارة مجموعة من الرموز التي لها دلالاتها وتأثيراتها في المجتمع متأثرًا بالمنهج البنيوي الذي جاء به دوسوسير، ومنهم من ذهب إلى أبعد من ذلك عندما جعل (التفكيكية) أساسًا له في تصاميمه المعمارية الحديثة، ولعل ما شهدناه ونشهده اليوم من نتاج معماري في أنحاء مختلفة من العالم يدل دلالة واضحة على ذلك.

كل ذلك يعود إلى مرحلة (ما بعد الحداثة) التي مرّت بها العمارة، وذلك لمّا رأى منظّروها أن التوجه العلمي المحض والاعتماد على التحليل العقلي في التصميم من ابرز السمات التي ميّزت العمارة الحديثة التي يؤرّخ لها أصحابها من ثلاثينيات القرن العشرين وحتى ستينياته، إذ غاب مع هذا التوجه الجانب الروحي في العمارة وغابت بغيابه عواطف الناس المرتبطة بالعمارة، بكونها أماكن للذكريات واللقاء الاجتماعي، فهي المسرح الذي تجري على خشبته حوادث الحياة بكل تفاصيلها؛ فرحًا وحزنًا وشوقًا وعشقًا ونضالا وجهادا.

لذا كانت (اللغة) المرجع الجديد لأهل العمارة بعد هذا الجمود الروحي الذي تميّزت به، بهياكلها الإنشائية الساكنة وكتلها الصمّاء، فظهرت المفاهيم الرمزيّة، وأصبحت الدلالة عنصرًا فعّالا في صياغة الأفكار.

المهم من كل ذلك أن علاقة اللغة بالعمارة أخذت حيّزًا كبيرًا من اهتمام الباحثين والدارسين في الحقلين ولكن الإنصاف يدفع الباحث إلى القول إن اهتمام المعماريين باللغة يفوق كثيرًا اهتمام اللغويين بالعمارة، ولا أكون مبالغًا إذا ما قلت إن عقد المقارنة بين الفريقين لا يدعمه الواقع ولا يسوّغه العقل، فالدراسات والبحوث التي قدّمها أهل العمارة مقتبسين فيها من اللغة الكثير يدل دلالة واضحة على هذا الأمر، ولكن الإنصاف أيضًا يدفع الباحث إلى القول بأن لا حاجة كبيرةً لأهل اللغة لدراسة العمارة، فالعمارة لا تقدّم لأهل اللغة شيئًا يدعم دراساتهم، إلا إذا كان ذلك من باب الثقافة العامّة التي يسعى إليها المهتمون بالدراسات اللغوية أو التاريخية التي تتحدث عن العمران في العصور المختلفة، وربّما أفاد أهل اللغة من العمارة في طرق تدريسهم عندما يسعى أحدهم لتقريب صورة ما لأذهان الطلبة وذلك عندما يجد اتفاق بعض المصطلحات في الحقلين كمفاهيم الإسناد والبناء والتعليق وغيرها، فيعتمد عليها في إيضاح فكرة أو تقريب مفهوم، فهذه المصطلحات استعيرت في الأصل من حقل العمارة والبناء.

وعلى الرغم من هذه المساحة العريضة التي شغلتها بحوث المعماريين الذين قدّموا لنا العمارة بنكهة لغوية، إلا إن أغلبهم (إن لم أقل جميعهم) ظل يحوم حول حمى اللغة ماسًّا جدارها تارة ومستظلا به تارة أخرى. وهذا لا يُعَدّ بأي حال من الأحوال مأخذًا عليهم، ولو تكلّف أحدهم دخول صروح اللغة صوتًا وصرفًا ونحوًا وبلاغة ودلالة وكتابة غير مكتف بالنظر إليها، لوجد في تلك الصروح خيرًا كثيرًا.

إن التوافق الكبير بين حقلي اللغة والعمارة في المستويين التركيبي والجمالي يدفع الباحث الجاد إلى تطويع بعض المفاهيم اللغوية في مستوياتها المختلفة تطويعا معماريا يفيد منه أهل العمارة فتكون اللغة نبعا غنيا يتزود منه أهل العمارة ثقافة وعلما ومن ثم تصميما وإبداعا، وما هذا البحث الموسوم بـ (تطويع المفاهيم البلاغية معماريا – الاقتباس والتضمين أنموذجا-) إلا مسعى جاد في هذا السبيل، والغاية الرئيسة منه إغناء الفكر النقدي المعماري بما احتوته كتب البلاغة العربية من قيم جمالية ومفاهيم علميّة، يستطيع المعمار المبدع أن يستثمرها في نتاجه المعماري، فإن لم يتحقق ذلك فيكفيها فائدة أنها تفتح آفاقًا جديدة عند المعماريين يستزيدون منها في إثراء خزينهم الثقافي ليكون الناتج عن عملية الإبداع المتحققة لديهم ناتجًا باهرًا، له خصائصه المتميّزة.

الاقتباس لغةً واصطلاحًا:

القَبَس، بفتحتين النار، والقبس الشعلة من النار، والقبس شعلة من نار تقتبسها، أي تؤخذ من معظم النار، وقوله تعالى:(بِشِهَابٍ قَبَسٍ.... الآية)[1]، القبس الجذوة، وهي النار التي تأخذها في طرف عود، ويقال: اقتبست منه نارًا واقتبست منه علما أيضا، أي استفدته، قال الكسائي: واقتبست منه علمًا ونارًا سواء، وفي الحديث: من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر. وأقبسته نارًا وعلمًا فاقتبس.[2] والاقتباس، مصدر اقتبس، استعير لطلب العلم والهداية، ومنه قوله تعالى:(انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ)[3]

أما اصطلاحًا، فالاقتباس عند البلاغيين:أن يُضَمَّنَ الكلام شيئا من القرآن أو الحديث، لا على أنه منه، والكلام هنا يشمل المنظوم والمنثور.[4] ومنهم من قصر الاقتباس على القرآن لا غير، فقيل: ((الاقتباس أن يضَمّن المتكلم كلامه كلمة من آية أو آية من كتاب الله خاصّة))[5] ومنهم من لم يكتفِ بذلك، فزاد على القرآن والحديث الاقتباس من مسائل الفقه والعلوم الأخرى، كالنحو والعروض والمنطق وغيرها، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقًا.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن على المقتبس من كلام الله عزّ وجل أو الحديث أن لا ينبّه على ذلك.[6] أي لا يقول في كلامه المنظوم أو المنثور:(قال تعالى...) أو (قال رسول الله ρ....) أو ما يشبه ذلك من العبارات. ومن البلاغيين من وضع الاقتباس في مكانة مرموقة في الصناعة البلاغية، ليس فوقه من الكلام ما هو أعلى درجة منه، لأنه ممزوج بالقرآن لا على وجه التضمين بل على وجه الانتظام به.[7]

((والاقتباس من القرآن على ثلاثة أقسام؛ مقبول ومباح ومردود، فالأول: ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبي ρ ونحو ذلك، والثاني: ما كان في الغزل والرسائل والقصص، والثالث: على ضربين؛ أحدهما ما نسبه الله تعالى إلى

نفسه، ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه، كما قيل عن أحد بني مروان إنه وقّع على مطالعة فيها شكاية من عمّاله: إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم، والآخر تضمين آية كريمة في معنى هزل، ونعوذ بالله من ذلك، كقول القائل:

أوحى إلى عشّاقه طرفه هيهات هيهات لما توعدون))[8]

ومن المسائل التي يجب تثبيتها في موضوع الاقتباس أن الشعراء والخطباء والكتاب عندما يأتون بنصوص من القرآن أو الحديث الشريف لا يأتون بها على كونها نفس المقتبس منه، ولولا ذلك للزمهم الكفر في لفظ القرآن والنقص منه، ولكنهم يأتون به استحسانا للفظ القرآن ولوقعه وتأثيره في النفوس.[9]

وللاقتباس تقسيم آخر من ناحية المعنى فهو على نوعين:((نوع لا يخرج به المقتبس عن معناه، كقول الحريري: فلم يكن إلا كلمح البصر أو أقرب، حتى أنشد فأغرب. فإن الحريري قد كنّى به عن شدة القرب، وكذلك هو في الآية الشريفة، ونوع يخرج به المقتبس عن معناه، كقول ابن الرومي:

لئن أخطأتُ في مدحك ما أخطأتَ في منعي
لقد أنزلتُ حاجـاتي بواد غير ذي زرع

فإن الشاعر كنّى به عن الرجل الذي لا يرجى نفعه، والمراد به في الآية الكريمة أرض مكّة شرفّها الله وعظّمها.))[10]

ولكي يزداد مفهوم الاقتباس وضوحًا، نورد أمثلة عليه شعرا ونثرا.

الاقتباس من القرآن شعرًا

قال بعض الظرفاء في الاقتباس من القرآن من قصّة يوسف عليه الصلاة والسلام:

أيُّهذا العزيز قد مسّنـــا الضـرّ جميعا وأهلنا أشتات
ولنا في الرحال شيخ كبير ولـدينا بضاعة مزجـــاة[11]

وهذا اقتباس من قوله تعالى: [قَالُواْ يأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ] [12] ومن قوله تعالى:[قَالُواْ يأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَباً شَيْخاً كَبِيراً] [13]

وقال آخر: خاض العواذل في حديث مدامعي لمّا رأوا كالبحر سرعة سيره
فحبسته لأصون سرّ هواكـــم حتّى يخوضوا في حديث غيره[14]

وهذا اقتباس من قوله تعالى:[فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يخوضوا في حديث غَيْرِهِ] [15]

واقتبس آخر قوله تعالى : [وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] [16] فقال:

يا عاذلي شمس النهار جميلة وجمال فاتنتي ألذّ وأزيـــنُ
فانظر إلى حسنيهما متأمـلا وادفع ملامك بالتي هي أحسن[17]

وقال آخر:

لا تعاشر معشرا ضلّوا الهدى فسواء أقبلوا أو أدبروا
بدت البغضاء من أفواهـــهم والذي يخفون منها أكبر[18]

وهذا اقتباس من قوله تعالى:[قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ] [19]

ومن لطائف هذا الباب قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر:

إن كانت العشاق من أشواقهم جعلوا النسيم إلى الحبيب رسولا
فأنا الذي أتلو لهم: يا ليتنـي كنت اتخذت مع الرسول سبيلا [20]

وهذا اقتباس من قوله تعالى: [وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يا ليتني اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً] [21] وقد يعمد الشاعر إلى غرض بلاغي آخر فيجمعه مع الاقتباس في بيت واحد، وهذه براعة لا تتأتى إلا لمن حاز قصب السبق في هذا المضمار، ومن ذلك قول الشاعر:

يا نظرة ما جلت لي حسن طلعته حتى انقضت وأدامتني على وجل
عاتبت إنسان عيني من تسرّعه فقال لي: خلق الإنسان من عجلِ[22]

وهنا قد جمع الشاعر الاقتباس مع التورية، فالاقتباس من قوله تعالى:[خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ آيَاتِي فَلاَ تَسْتَعْجِلُونِ][23] والتورية في لفظة(إنسان)، فالأولى تعني بؤبؤ العين، والأخرى الواردة في النص القرآني تعني آدم عليه السلام.

ومن أمثلة الاقتباس من القرآن شعرًا قول أحدهم:

أهدى إليكم على بعد تحيته حيّوا بأحسن منها أو فردّوها[24]

وهو اقتباس من قوله تعالى: [وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبا] [25]، ومنها أيضًا:

رحلوا فلست مسائلا عن دارهم أنا باخع نفسي على آثارهم[26]

وهذا اقتباس من قوله تعالى: [فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا] [27] وقول الآخر:

إن كنتِ أزمعتِ على هجرنا من غير ما جرمٍ فصبرٌ جميل
وإن تبدلتِ بنـــا غيرنـــا فحسبنا الله ونـــعم الوكيل[28]

وفي هذين البيتين اقتباسان؛ الأول: من قوله تعالى: [قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ][٢٩] والثاني من قوله تعالى:[وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ] [30]

ونختم القول عن الاقتباس من القرآن شعرًا بما جاء به نظّام البديعيات فـ ((صفي الدين الحلّي قال في بديعيّته:

هذي عصاي التي فيها مآرب لي وقد أهشّ بها طورًا على غنمي

وبيت العميان:

ذو مرّة فاستوى حتى دنا فرأى وقيل سل تعطَ قد خُيّرت فاحتكمِ

وبيت الشيخ عزّ الدين:

فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم ولا اقتباس يرى من هذه الأطم

وبيت بديعيّتي قولي:

وقلت يا ليت قومي يعلمون بما قد نلت كي يلحظوني باقتباسهم))[31]

وهذه الأبيات قد تضمّنت اقتباسات من قوله تعالى: [قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى] [32] ومن قوله تعالى: [ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى* وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى*] [33] ومن قوله تعالى: [فَأَصْبَحُواْ لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِين [34]] ومن قوله تعالى: [قَالَ يا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ] [35].

الاقتباس من القرآن نثرًا:

لم يقتصر الاقتباس من القرآن الكريم على الشعر، وإنما شمل النثر أيضًا، ومنه ما قيل في وصف القيامة: ((هناك يرفع الحجاب ويوضع الكتاب ويجمع من وجب له الثواب ومن حق عليه العقاب، فيضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب))[36] وهذا اقتباس من قوله تعالى: [قِيلَ ارْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُواْ نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ] [37]، ومن الاقتباس نثرًا قول أحدهم: ((لقينا أيامًا ضحكات وليتها أيام عابسات، فكانت كسبع سنبلات خضر وأخر يابسات)) [38]، وهذا اقتباس من قوله تعالى:[يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ] [39]

وقول الآخر: ((لم يزل يرشقني بقوارصه حتى تكاثر النبل واستحكم التبل، ولم يكفه الإلقاء في غيابة الجب حتى قال: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل.)) [40] وهذ اقتباس من قوله تعالى:

[قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ][41] ومن قوله تعالى:[قَالُواْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ] [42]، ومنه أيضًا قول الخطيب عبد الرحمن بن نباتة في ذكر يوم القيامة: ((هناك يقع الحساب على ما أحصاه الله كتابا، وتكون الأعمال المشوبة بالنفاق سرابا، يوم يقوم الروح والملائكة صفًا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا))[43] وهذا مقتبس من قوله تعالى:[يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلآئِكَةُ صَفّاً لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَـنُ وَقَالَ صَوَاباً] [44]، ومن الاقتباس نثرًا قول أحدهم:((تجمعوا في نار الندم يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا، وصار الأمر الذي كانوا يرجونه مخشيّا، وأصبحوا كأهل النار الذين صاروا أعداءً وكانوا شيعا، وقال ضعفاؤهم للذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعا))[45] ، وهذا مقتبس من قوله تعالى :[النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُواْ آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ] [46] ومن قوله تعالى: [وَبَرَزُواْ للَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ] [47]

الاقتباس من الحديث الشريف شعرًا :

يعزّ على الباحث أن يجد أمثلة كثيرة للاقتباس من الحديث الشريف شعرًا، إذ لم أعثر على نماذج كثيرة لهذا الاقتباس كما كان الأمر مع الاقتباس من القرآن الكريم، وربما كانت كثرة تداول النصوص القرآنية وحضورها في الذهن أكثر من نصوص الحديث الشريف سببًا في ذلك، ومن الاقتباس من الحديث الشريف قول الشاعر:

قال لي: إن رقيبي سيّئُ الخــلق فداره

قلت: دعني وجهك الــجنّة حفّت بالمكاره[48]

وهذا مأخوذ من قول رسول الله ρ :((حفّت النار بالشهوات وحفّت الجنّة بالمكاره))[49]

لذا فإن قلّة نماذج الاقتباس من الحديث الشريف شعرا يصحح رأي بعض البلاغيين الذين ذهبوا إلى أن الاقتباس محصور بالأخذ من نصوص القرآن الكريم.[50]

الاقتباس من الحديث الشريف نثرًا :

من ذلك ما ذكره ابن الأثير في وصف كتاب، وهو:((كل سطر فيه روضة غير أنها ليل في صباح، وكل معنى منه دمية غير أن ليس على مصوّرها من جناح))[51] وفي هذا النص اقتباس من الأحاديث النبوية الشريفة التي نهت عن التصوير، منها قولهρ:((إن أشدّ الناس عذابا يوم القيامة المصوّرون))[52]، ومنها قولهρ:((كل مصوّر في النار، يجعل له بكل صورة صوّرها نفسًا فتعذّبه في جهنم، وقال: إن كنت لابد فاعلا فاصنع الشجر وما لا نفس له))[53] ، ومن الاقتباس أيضا ما ذكره ابن الأثير في النصرة على العدو في موطن القتال وهو: ((أخذنا بسنّة رسول الله في النصر الذي نرجوه، ونبذنا في وجه العدو كفًا من التراب، وقلنا: شاهت الوجوه، فثبّت الله ما تزلزل من أقدامنا، وأقدم حيزوم فأغنى عن إقدامنا. وهذان المعنيان أحدهما مأخوذ من حديث غزوة حنين وما فعله رسول الله ρ في أخذ قبضة من التراب وألقاها في وجوه

الكفار وقوله: شاهت الوجوه، والمعنى الآخر مأخوذ من حديث غزوة بدر، وذلك أن رجلا من المسلمين لاقى رجلا من الكفار وأراد أن يضربه، فخرّ ميتًا قبل أن يصل إليه، وسمع الرجل المسلم صوتًا من فوقه وهو يقول: أقدم حيزوم، فجاء إلى النبي فأخبره، فقال: ذاك من مدد السماء الثالثة.))[54] ومن ذلك أيضًا قول ابن الأثير في دعاء كتاب من الكتب:((أعاذ الله أيّامه من الغِيَر وبيّن بخطر مجده نقص كل خطر، وجعل ذكره زادًا لكل ركب وأنسا لكل سمر، ومنحه من فضله ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.))[55] وهذا مقتبس من قوله ρ في وصف نعيم الجنّة :((فيها ما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.))[56]

إن المتأمل في نصوص هذه الاقتباسات شعرًا ونثرًا يجد أن النصوص الأصليّة من القرآن والحديث تختلف اختلافا يسيرًا عنها، لذا فإنه ((يجوز أن يُغَيَّرَ لفظ المقتبس منه بزيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو إبدال الظاهر من المضمر، أو غير ذلك، فالزيادة وإبدال الظاهر من المضمر كقول الشاعر: كان الذي خفت أن يكونا

إنا إلى الله راجــعونا

فزاد الألف في (راجعون) ومراده آية التعزية في المصيبة، وهي قوله تعالى:[إنا لله وإنا إليه راجعون]))[57] ومن أمثلة النقصان من اللفظ المقتبس قول الحريري:((فلم يكن إلا كلمح البصر أو أقرب. فإنه أسقط لفظة (هو) إذ الآية الكريمة لفظها [كلمح البصر أو هو أقرب]))[58]. ومن أمثلة التقديم والتأخير في الاقتباس ما ورد في قول الشاعر المذكور آنفًا: (وجهك الجنة حفت بالمكاره)، فهو واضح عند مقارنته بنص الحديث الشريف.

الاقتباس من العلوم الأخرى:

لم يقصر الشعراء والكتاب اقتباساتهم على القرآن والحديث الشريف بل توسعوا في ذلك فاقتبسوا من علوم أخرى كالنحو والفقه والعروض والمنطق، وهذا ما ذهب إليه بعض البلاغيين.

وهذه نماذج من هذه الاقتباسات:

❖ الاقتباس من النحو:

قال أبو الطيب المتنبي:

حولي بكل مكان منهم حلق تخطي إذا جئت باستفهامهم بمَن

يقول أبو الطيب: إذا استفهمت عن مثل هؤلاء الأقوام لا تستفهم بـ (مَن) لأن (مَن) لمن يعقل، وهؤلاء عندي بمنزلة ما لا يعقل، فحقهم أن يستفهم عنهم بـ (ما).[59]

ومن الاقتباس النحوي ((قول البهاء زهير:

يا ألفًا من قدّه أقبلَت بالله كوني ألف الوصل))[60]

وهذا متضمن معنى الوصل والقطع الذي تمتاز به الألف أو الهمزة، فتارة تكون همزة وصل وأخرى تكون همزة قطع، والتورية واضحة في كلمة(الوصل).

ومنه ((قول الأمير أمين الدين علي السليماني:

وحاجبه نون الوقاية ما وقت على شرطها فعل الجفون من الكسر))[61]

وهذا البيت لم يقتصر على الاقتباس، وهو كسابقه تضمّن تورية في الكلمتين (فعل) و(الكسر)، فالمعروف في النحو أن نون الوقاية يؤتى بها لتقي الفعل من الكسر، فأخذ الشاعر هذا المعنى وضمّنه بيته، فالمراد بهاتين الكلمتين في البيت فعل جفون المحبوب في كسر قلب الشاعر.

ومن الاقتباس النحوي ((قول شمس الدين بن العفيف:

يا ساكنًا قلبي المعنّى وليس فيه سواك ثاني

لأيّ معنًى كسرت قلبي وما التقى فيه ساكنان))[62]

وهذا البيت فيه تورية أيضًا، وذلك في الكلمات (ساكنًا) و(كسرت) و(ساكنان)، ومراد الشاعر في هذه التورية واضح.

وقد عدّ صاحب الخزانة قول الشيخ زين الدين بن الوردي:

وأغيد يسألني مـا المبتدا والخبر؟

مثلهما لي مسرعًا فقلت:أنت القمر

من الاقتباس النحوي[63]، ولا أرى ذلك، فالبيتان تضمّنا كلامًا منظومًا يبيّن مثالا نحويا للمبتدأ والخبر، وهو يذكرنا بعدد غير قليل من أبيات ألفية ابن مالك التي تضمّنت أمثلة نحوية، من ذلك قوله:

ولا يجوز الابتدا بالنكرة ما لم تُفِد: كعند زيد نمرة[64]

❖ الاقتباس من الفقه

مما ينسب إلى الشافعيّ رحمه الله تعالى:

خذوا بدمي هذا الغزال فإنه رماني بسهمي مقلتيه على عمد

ولا تقتلوه إنني أنــا عبده وفي مذهبي لا يقتل الحرّ بالعبد[65]

وهذا متضمّن حكمًا فقهيّا من أحكام القتل ، فالله تعالى يقول:[يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى] [66] وهذا التعبير يفيد الحصر، فيكون معناه أنه لا يقتل الحر بغير الحر، فذهب جمهور الفقهاء؛ منهم مالك والشافعي وأحمد، إلى ان السيّد إذا قتل عبده لا يُقتَل، أخذًا بحديث رسول الله ρ الذي رواه الدارقطني

ونصّه: ((أن رجلا قتل عبده صبرًا متعمّدًا، فجلده النبي ρ مئة جلدة، ونفاه سنة، ومحا سهمه من المسلمين، ولم يَقُد به، وأمره أن يعتق رقبة.))[67]

ومن الاقتباس الفقهي قول القاضي عبد الوهاب المالكي:

ونائمة قبّلتها فتنبّهت وقالت تعالوا فاطلبـــوا اللصّ بالحدّ
فقلت لها: إنّي فديتك غاصب وما حكموا في غاصب بسوى الردّ[68]

وفي هذين البيتين أحكام فقهيّة في السرقة والغصب، فالسرقة والاسترّاق المجيء خفية لأخذ مال الغير، وأوجب الشرع على السارق الحد، وهو قطع اليد كما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى:[وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيم][69] ولا يُعدّ الغاصب سارقًا، لذا لا يجب عليه الحد.[70]

وأمّا الغصب فهو أخذ شخص حق غيره، والاستيلاء عليه عدوانا وقهرًا عنه، وهو حرام يأثم فاعله، وعلى الغاصب أن يردّ ما غصب، أخذًا بنصوص كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ومنها قول الرسول الكريم ρ ((لا يأخذنَّ أحدكم متاع أخيه جادًّا ولا لاعبًا، وإذا أخذ أحدكم عصا أخيه فليردّها عليه.))[71]

ومن الاقتباس الفقهي قول شمس الدين محمد بن جابر الاندلسي:

طلبتُ زكاة الحسن منها فجاوبت إليك، فهذا ليس تدركه منّي
عليّ ديون للعيـــون فلا تَرُم زكاة فإن الدّين يسقطه عنّي[72]

وهذان البيتان تضمّنا حكما فقهيّا في الزكاة، فالزكاة ركن من أركان الإسلام الخمسة، وقد فرضها الله تعالى بكتابه وسنة رسوله ρ وإجماع الأمّة، وتجب الزكاة على المسلم الحرّ المالك للنصاب، من أي نوع من أنواع المال الذي تجب فيه الزكاة، ومن كان في يده مال تجب فيه الزكاة، وهو مدين، أخرج منه ما يفي بدينه وزكّى الباقي إن بلغ النصاب، وإن لم يبلغ النصاب فلا زكاة فيه؛ لأنه في هذه الحالة فقير.[73]

❖ الاقتباس من العروض:

العروض هو العلم الذي يختصّ بدراسة موازين الشعر العربي، وضع أصوله العالم العربي الخليل بن أحمد الفراهيدي، ومن أصول هذا العلم أن للشاعر صرف ما لا ينصرف، أو أن يمنع المصروف عند الضرورة.[74] وقد اقتبس أحد الشعراء هذا المفهوم وأودعه شعره، إذ يقول صاحب الخزانة: ((إنه أحيل على شهاب الدين الذهبي بخمسين دينارًا، ومطل بها مدّة، فكتبت إليه:

قد منعتم صرف الدنانير عنّي ولكم في الورى هبات كثيرة
وأنا شاعر وفي شرع نظمي صرفها جائز لأجل الضرورة))[75]

التضمـــــــــــين :

التضمين لغة مصدر ضمّن، يقال: ضمّن الشيء الشيء أي أودعه إيّاه، كما تودع الوعاء والمتاع. وروي عن عكرمة أنه قال: لا تشترِ لبن البقر والغنم مضمّنًا، لأن اللبن يزيد في الضرع وينقص؛ ولكن اشتره كيلا مسمّى، ويقال: ضَمِنَ الشيء بمعنى تضمّنه، ومنه قولهم: مضمون الكتاب كذا وكذا. فكل شيء جعلته في وعاء فقد ضمّنته إيّاه، وقيل عن التضمين أيضًا إنه جعل الشيء في ضمن الشيء مشتملا عليه.[76]

أما (التضمين) اصطلاحًا فهو ((أن يُضَمّن الشعر شيئا من شعر الغير، مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورًا عند البلغاء.))[77] ولم يقصر بعض البلاغيين التضمين على الشعر، بل شمل النثر أيضًا، فقيل عن التضمين بأنه: ((تضمين الشاعر شعره والناثر نثره كلامًا آخر لغيره قصدًا للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود.))[78]

وقد ذكرت سابقًا أن بعض البلاغيين لم يفرّق بين الاقتباس والتضمين، وذلك عائد إلى التشابه الحاصل في المعنى، وعلى هذا نجد من قال: ((إن الشاعر لا يقتبس بل يعقد ويضمّن، أما الناثر فهو الذي يقتبس كالمنشِئ والخطيب))[79]. وكأن التفريق بين الاقتباس والتضمين قائم على أساس تقسيم الكلام إلى شعر ونثر، لا على أساس النص المقتبس، ولكن الذي عليه أغلب البلاغيين أن الاقتباس ما ذكرناه سابقا من تضمين الكلام نصوصا من القرآن أو الحديث أو العلوم الأخرى كالنحو والصرف والعروض والمنطق.

ومن أمثلة التضمين قول الشاعر:

قم فاسقنيها يا غلام وغَنِني ذهب الذين يعاش في أكنافهم

والشطر الثاني مضمّن[80] ومن التضمين أيضًا ((قول الحريري:

على أني سأنشد عند بيعي أضاعوني وأي فتى أضاعوا

فالمصراع الأخير قيل للعرجيّ، وقيل لأميّة بن أبي الصلت، وتمام البيت: ليوم كريهة وسداد ثغر))[81] ومن التضمين أيضًا ((قول أبي نؤاس:

فما زلت أسقيـــه وألثم خـدّه إلى أن تغنّـى راضيًا وبه سكر
ألا يا اسلمي يا دار ميّ على البلى وما زال منـهلا بجرعائك القطر))[82]

وقد شغف بعض الشعراء بالتضمين حتى قال أحدهم:

أطالع كل ديـوان أراه ولم أزجر عن التضمين طيري
أضمّن كل بيت فيه معنى فشعري نصفه من شعر غيري[83]

وقد انضوت تحت مصطلح التضمين مصطلحات أخرى، كالإيداع والاستعانة، إذ لا فرق كبيرًا بين هذه المصطلحات، وعُرّفَ الإيداع بأنه ((أن يودع الناظم شعره بيتًا من شعر غيره أو نصف بيت أو ربع بيت بعد أن يوطئ له توطئة تناسبه بروابط متلائمة بحيث يظن السامع أن البيت بأجمعه له))[84]، ولا أعلم ما الفرق الواضح المهم بين هذا التعريف وتعريف (التضمين) المذكور آنفًا، فلا فرق كبيرًا – والأمر كذلك- بين التضمين والإيداع، وربما تطابقا عند بعض البلاغيين ومعهما (الاستعانة) أيضًا حتى قيل: ((وربّما سمّي تضمين البيت فما زاد استعانة، وتضمين المصراع فما دونه إيداعًا))[85] ، وحتّى هذا المعنى لا يتوافق مع ما ورد من أمثلة (الإيداع) في كتب البلاغة، إذ ضمّن بعضهم شعره بيتًا أو أكثر وسمّاه البلاغيون (إيداعًا)، من ذلك قول جمال الدين بن نباتة:

أتاني علي البانياسيّ منشدًا فيالك من شعر ثقيل مطوّل
مكرٌّ مفرٌّ مقبلٌ مدبرٌ معًا كجلمود صخر حطّه السيل من علِ

إذ سمّاه صاحب الخزانة إيداعًا.[86] وعلى هذا الأساس يكون مصطلح التضمين أعمّ وأشمل من المصطلحات الأخرى، وإيراده يغني عن بقية المصطلحات، وإن الاطلاع على النماذج الشعرية التي أطلق عليها البلاغيون مصطلح (الإيداع) تدل على أن التضمين لا يختلف عن الإيداع إلا في أمر رئيس واحد؛ وهو أن التضمين شمل الشعر والنثر، أما الإيداع فقد اقتصر على الشعر فحسب، وهذا الاختلاف على ما أرى لا وزن له في هذا البحث؛ وذلك لأن الغاية كما ذكرت في مقدمته هي الاعتماد على بعض المصطلحات البلاغيّة الواردة في الدرس البلاغي العربي من أجل الإفادة منها في تقعيد مصطلحات نقديّة معماريّة جديدة، وفي العمارة كما هو واضح لا يمكن أن نجد تباينًا كبيرًا بين ما يقابل الشعر وما يقابل النثر الفني ، فالقيم الجمالية والوظيفيّة في التصميم المعماري لا يمكن تقسيمها على هذا الأساس، إلا إذا تكلّفنا الأمر وجعلنا التصاميم التي تفرض على مصممها زج أقصى ما يمكن من القيم التعبيرية كالمتاحف والمكتبات وأكاديميات الفنون والقاعات الخاصة وغيرها تقابل الشعر في اللغة والأبنية الخدميّة الأخرى التي تكون الوظيفة المباشرة هي العنصر المهيمن على التصميم كالمستشفيات والمراكز الصحيّة ودوائر البريد وبعض الدوائر الحكوميّة الأخرى تقابل النثر في اللغة، وهذا أمر يصعب تحديده بصورة واضحة.

وتأسيسًا على ذلك كلّه فإن الأمثلة الواردة في كتب البلاغة على أنها إيداع أو استعانة يمكن النظر إليها على أنها أمثلة للتضمين ما دامت نافعة للغرض الرئيس من هذا البحث، ولاسيّما إذا تذكرنا أن علماء البلاغة قد أفاضوا في التدقيق وإعطاء كل معنى مصطلحًا خاصًا به حتى وإن تقاربت معاني تلك المصطلحات بصورة كبيرة، هذا فضلاً عن أن المصطلحات البلاغية مرت في مراحل لم تكن قد استقرت بصورة نهائية، ومن هنا نجد التباين (وإن كان يسيرًا) بين المعاني التي أعطاها البلاغيون لتلك المصطلحات، وسيتبين ذلك بصورة جليّة من الأمثلة الآتية:

قال جمال الدين بن نباتة:

لم أنس موقفنا بكاظمة والعيش مثل الدار مسوَدّ
والدمع ينشد في مسائله هل بالطلول لسائل ردّ

وقد عُدّ هذا من الإيداع[87] ، والإيداع واضح في الشطر الثاني من البيت الثاني، ولو قارنّا هذا البيت بالبيت الذي ذكرناه في أمثلة التضمين وهو (على أني سأنشد ... البيت) ما وجدنا اختلافا بينهما، ولكن سمي هنا إيداعا وسمّي هناك تضمينًا، وهذا يثبت صحة ما ذهبت إليه آنفًا.

ومنه أيضًا قول القائل[88]:

سرت نسمة منكم إليّ كأنها نسيم الصبا جاءت بريّا القرنفل
فقلت لليلي مذ بدا صبح طرسها ألا أيّها الليل الطويل ألا انجل
جنت ما حلا ذوقًا فقلت تقرّبي ولا تبعدينا عن جناك المعلل
ورقّت فأشعار امرئ القيس عندها كجلمود صخر حطّه السيل من عل
فقلت قفا نضحك لرقتها على قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

والإيداع أو التضمين واضح في هذه القطعة الشعرية، فكل أعجاز أبياتها مضمّنة من معلقة امرئ القيس المشهورة التي مطلعها:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللّوى بين الدخول فحومل

وقبل الانتقال إلى التطبيق المعماري لمصطلحي الاقتباس والتضمين لابد من الوقوف عند الملاحظات الآتية:

١) إن تقسيم الكلام في اللغة إلى شعر ونثر، يصعب العثور عليه معماريا، إذ ليس من اليسير أن أبحث عن نثريّة العمارة جاعلا إياها مصطلحًا مستقلا يسير بحذاء شعريّة العمارة، وذلك عائد إلى أن البحث في العمارة يختلف عن البحث في اللغة كما ذكرت ذلك آنفًا.

٢) إن الاقتباس كما رأينا اقتصر على نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وبعض العلوم الأخرى، وإذا أردنا أن نبحث عمّا يقابل ذلك في العمارة فالمنطق يقتضي أن يكون الاقتباس المعماري من الأبنية الدينية المشهورة حصرًا، ومن بعض العلوم أو المعارف مما هي خارج نطاق المعرفة المعمارية، ولكني رأيت من الأجدى أن نوسّع مفهوم الاقتباس المعماري ليشمل الأخذ من الأبنية التاريخية أيضًا، وذلك لأن هذه الأبنية لها حضور في أذهان الناس يقارب حضور مثيلاتها من الأبنية الدينية، وذلك عائد إلى اشتراكهما في البعد الزمني.

٣) قسّم البلاغيون الاقتباس إلى مقبول ومباح ومردود، وضربوا لذلك أمثلة كما مر بنا، وهذا أمر له ما يقابله في العمارة، فإدخال بعض العناصر المعمارية الموجودة في الأبنية الدينية أو حتى التاريخية في بعض الأحيان في تصاميمنا المعاصرة ينبغي أن يتحدد بهذا التقسيم، فلا يجوز لنا في أي حال من الأحوال أن نقتبس عنصرًا أو أكثر من بناء له قيمته الروحية أو المعنوية لدى الناس لنجعله جزءًا من تصميم ملهى أو ملعبًا أو مكانًا للترفيه فهذا من الاقتباس المعماري المردود الذي لا ينبغي قبوله، أما المقبول والمباح فهو ما لا يقع ضمن هذا النطاق.

٤) ذكر في البحث أن الاقتباس يمكن تقسيمه من حيث المعنى إلى قسمين ؛ الأول ما لا يخرج به المقتَبِس عن معناه، والثاني ما يخرج به المقتبس عن معناه، وما يناظر ذلك في العمارة أن المصمم الذي يقتبس من بناء ديني إلى بناء ديني معاصر فهو من النوع الأول، أما إذا كان الاقتباس على غير ذلك فهو من النوع الثاني، وسنرى أمثلة على هذين النوعين لاحقًا.

٥) ينبغي الانتباه إلى جواز النقصان والزيادة والتقديم والتأخير في النصوص المقتبسة، وهذه خاصّية يمكن للمعمار المبدع أن يستثمرها في اقتباساته المعمارية.

٦) التضمين كما علمنا أن يضمّن الكلام شيئا من كلام الغير شعرا كان أم نثرًا مع التنبيه على ذلك إن لم يكن النص المقتبس مشهورًا، وإذا أردنا أن نبحث عمّا يناظر ذلك في العمارة، فعلى المعمار الذي يأخذ شيئا من تصاميم غيره أن ينبّه على ذلك، وليس في الأمر عيب أو منقصة، فالجهود الإنسانية يكمل بعضها بعضًا، وربما كان هناك تضمين أو اقتباس يفوق في براعته النص الأول المقتبس منه، ولنا في الشواهد التي ذكرت مثالا على ذلك، أما إذا لم ينبّه المعمار على ذلك فيعدّ ذلك من السرقات المعمارية التي تناظر السرقات الأدبية التي ألّف فيها الكثير من الكتب والدراسات، وهذا موضوع طويل يحتاج إلى بحث مستقل.

بعد هذه الملاحظات نشرع بعون الله تعالى في استعراض الاقتباس والتضمين على صعيد العمارة بعد أن عرضنا لهما بلاغيّا.

الاقتباس المعماري:

أولا: الاقتباس من الأبنية الدينية:

المثال الأول:

المقتبس منه: المسجد النبوي الشريف (الشكل١)

المقتبس له: جامع الكبيسي في منطقة العامرية ببغداد (الشكل٢)

يظهر الاقتباس بصورة واضحة في القبّة والمنارة فهما عنصران مقتبسان من قبّة المسجد النبوي الشريف ومنارته.

(الشكل١)
المسجد النبوي الشريف
المصدر: شبكة الإنترنت

(الشكل٢)
جامع الكبيسي
في منطقة العامرية ببغداد
المصدر: الباحث

المثال الثاني:
المقتبس منه: مسجد قبّة الصخرة في القدس (الشكل٣)
المقتبس له: إحدى بوابات القصر الجمهوري العراقي (الشكلان ٤،5).

(الشكل٣)
مسجد قبّة الصخرة
المصدر: شبكة الإنترنت

(الشكل٤)
بوابة القصر
الجمهوري

من الواضح في هذا المثال أن مصمم البوابة اقتبس القبة بوصفها أبرز العناصر في المسجد، ويعد هذا الاقتباس على ما أرى من أجمل الاقتباسات وأفضلها، وسبب ذلك أن هذا المصمم قد خرج عن الغرض الأول للتصميم، وهو وظيفة المسجد الرئيسة التي هي أداء الصلوات والعبادة، وهذا يتوافق مع ما ذكر سابقًا من أن الاقتباس يمكن تقسيمه من حيث المعنى إلى قسمين ؛ الأول: ما لا يخرج به المقتَبِس عن معناه، والثاني ما يخرج به المقتبس عن معناه، وهذا التصميم يتوافق مع النوع الثاني من الاقتباس، وهو أفضل من النوع الأول، بسبب ظهور براعة المصمم في التصرف بالعناصر المعمارية خدمة للغرض الرئيس من التصميم، وهذا يتوافق أيضا مع ما ذكره الحموي من أن (أحسن الإيداع ما صرف عن معنى غرض الناظم الأول)[89]، هذا من جانب، ومن جانب آخر أن المصمم اختار القبة التي هي أبرز عناصر مسجد قبة الصخرة ليجعلها فوق رؤوس المارّين عبر البوابة تشريفا لهذا المسجد الذي يعد من أبرز الرموز الدينية لدى المسلمين.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن دمج مصطلحي الاقتباس والإيداع في قضيّة واحدة ليس من باب الغفلة أو عدم وضوح الرؤية لدى الباحث، ولكن كما ذكرت سابقًا أن المحددات التي تخضع لها مصطلحات البلاغة ليس من الحكمة أن أخضع لها العمارة بكل تفاصيلها، ففي العمارة يمكن أن تشترك مجموعة من المصطلحات البلاغية لتؤدي معنى واحدًا.

الشكل (٥)
صورة البوابة من زاوية أخرى

المثال الثالث:

المقتبس منه: جامع الملويّة في سامرّاء (الشكل ٥)

المقتبس له: دار سكنية في بغداد (الشكل ٦)

الجزء المقتبس هو منارة الملويّة فقط، اتخذها المصمم عنصرًا بارزًا في تصميم أحد أركان الدار، ومن الملاحظ أنه لا علاقة وظيفيّة بين المقتبس منه والمقتبس له، ولا بد من مسوّغ دفع مصمم الدار لهذا الاقتباس، كأن يكون صاحب الدار أصله من مدينة سامراء، أو اعتزازًا بتاريخ بلده.

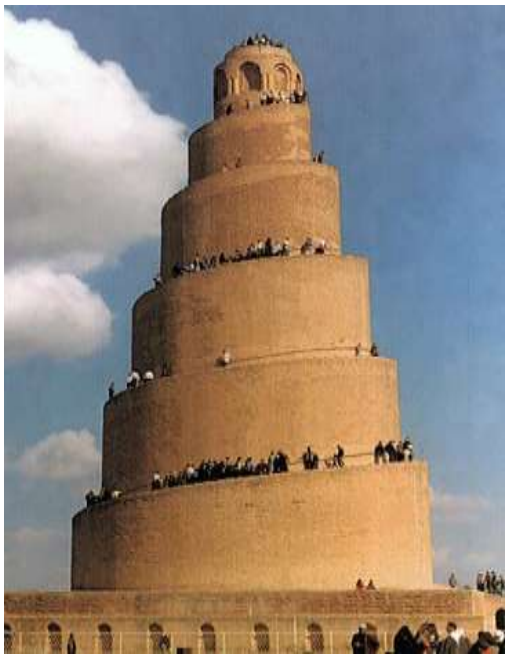

(الشكل ٥)
المنارة الملويّة في سامرّاء
المصدر: شبكة الإنترنت

(الشكل ٦)
الدار السكنية في حي المستنصريّة
المصدر: الباحث

ثانيًا: الاقتباس من الأبنية التاريخية

المثال الأول:

المقتبس منه: بوابة عشتار التاريخية في بابل (الأشكال ٧، ٨أ، ٨ب)

المقتبس له: إحدى بوابات المتحف العراقي (الشكلان ٩أ، ٩ب)

ومسوّغ الاقتباس في هذا المثال واضح، فبوابة عشتار تعد معلمًا من معالم الحضارة البابلية العراقية، لذا فاقتباسها لتكون بوابة للمتحف العراقي أمر مستساغ ومقبول، لأن المتحف مكان لآثار هذه الحضارة العريقة.

(الشكل٧)

(الشكل٨- أ)

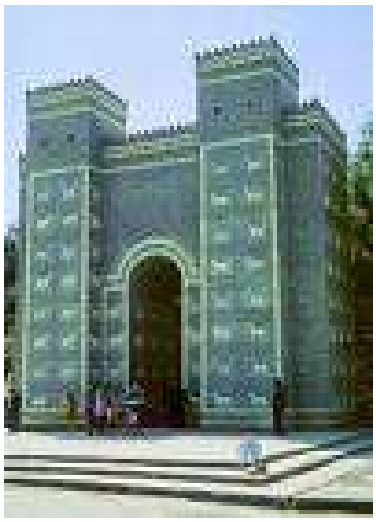

(الشكل٨- ب)

(الشكل٩- أ)

(الشكل٩- ب)

مصادر الصور: شبكة الإنترنت

(الشكل٩)
أهرامات الجيزة
في القاهرة
المصدر: شبكة
الإنترنت

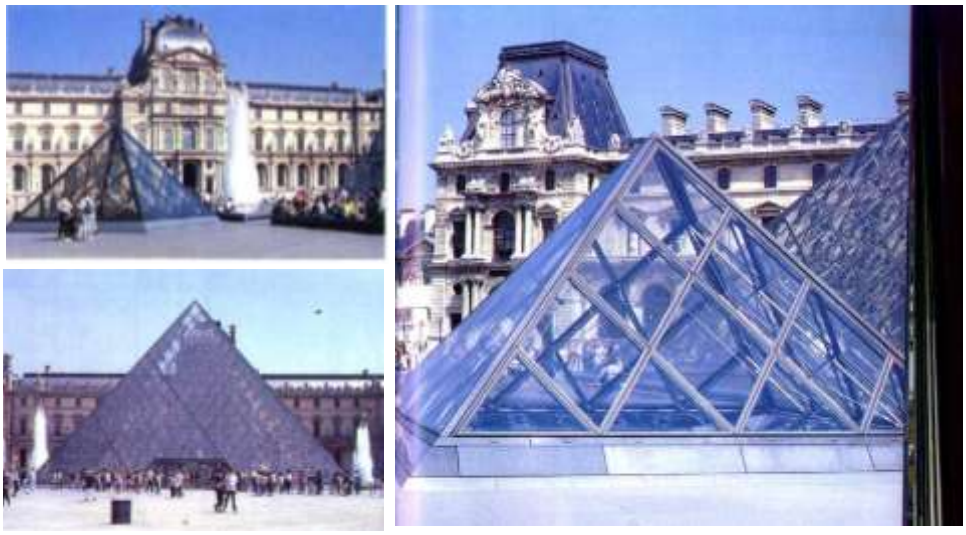

(الشكل١٠-أ، ب، ج)
توسعة متحف اللوفر
المصدر:
مجلة (The World of Contemporary Architecture)

ثالثا: الاقتباس المعماري من العلوم والمعارف الأخرى

ذكرت في الحديث عن الاقتباس البلاغي أنه لم يقتصر الأخذ فيه على نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، بل تعدى ذلك ليشمل الاقتباس من العلوم والمعارف الأخرى؛ كالفقه والنحو والعروض، وقد ذكرت أمثلة على ذلك. وإذا كان الاقتباس المعماري من الأبنية الدينية والأبنية التاريخية يناظر الاقتباس المعماري من نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، فإن في العمارة نوعًا من الاقتباس يناظر الاقتباس البلاغي من العلوم والمعارف الأخرى.

ولعل أبرز الاقتباسات المعمارية من المعارف الأخرى يظهر في الاستعانة بمناهج النقد الأدبي الحديثة، وذلك عائد إلى التطور والنضج اللذين بلغهما النقد الحديث، وهذا الأمر ظاهر للعيان بكثرة المراجع المتوافرة في المكتبات الأكاديمية التي تتحدث عن التراث النقدي الأدبي وعن النقد الأدبي المعاصر، فضلا عن ذلك فإن مجال النقد الأدبي يستند إلى أسس نقدية أثبتت جدارة عالية في التعامل مع آلية النقد المعماري، مما دفع نقّاد العمارة إلى الاستعانة بالعلوم اللغوية الحديثة، مثل العلوم السيميائية والدلالية والبنيوية والتأويلية، لغرض الوصول إلى نتائج نقدية في العمارة، وهذا يختلف عما كان سائدا لديهم إذ كانوا يعتمدون في دراساتهم النقدية على التسلسل التاريخي والمقارنة.[90]

ومن المناهج النقدية الحديثة في الأدب التي ظهر تأثيرها بشكل كبير في العمارة بحثًا ودراسة وتصاميم؛ التفكيك أو (التفكيكية) التي يقوم عند مؤسسه (دريدا) على تحليل سيميولوجي لأثر أدبي أو آيديولوجي موروث، وذلك بتجزئة عناصر النص إلى وحداته الصغرى والكبرى تعقبها عملية فهم تركيب ذلك العمل الأدبي.[91] فاقتبست العمارة من هذا المنهج الكثير وأصبح ظاهرة بارزة في النتاج المعماري في العقدين الأخيرين (الأشكال١١، ١٢).

الشكل (١١)
بناية على المنهج التفكيكي
تصميم: المهندسة زهاء حديد
المصدر: شبكة الإنترنت

الشكل (١١)
دار سكنية على المنهج التفكيكي
المصدر: شبكة الإنترنت

إن الخوض في تفاصيل هذا الموضوع يكلفنا صفحات عديدة لإيفاء حقه، قد تبعدنا عن الغاية الرئيسة لهذا البحث، ولكن الذي نريد تقريره هو أن التفكيك والمدارس النقدية الحديثة في الأدب كانت شعلة ساطعة اقتبست العمارة من نورها الكثير.

أما أثر الفلسفة في توجيه النقد المعماري فهو أمر لا خفاء فيه، فالمؤرخ المنظر المعماري مانفريدو تافوري Manfredo Tafuri يقترح في كتابه Theories and History of Architecture الاستعانة بفلسفة الفن وضرورة التعرّف إلى مناهجها المختلفة لدراسة التطور التاريخي للفن أو الاستعانة بمناهج قائمة معتمدة في الحقول النظرية من أجل تقعيد الأسس الخاصة بالنقد المعماري. ولأن الأساس الفكري للنقد يستند في جوهره إلى فلسفة محددة، أي محاولة منهجية عقلانية شمولية لفهم الحقيقة من جوانبها المختلفة مختصة بالنشاطات الإنسانية الأساسية، لذا فإن النقد المعماري لا يمكنه الاستغناء عن المدارس الفلسفية بتوجهاتها المختلفة، بسبب المساحة الإنسانية المشتركة بين العمارة والعلوم الإنسانية الأخرى.[92] وما نريد قوله في هذا التوضيح المختصر أن الفلسفة من الحقول المعرفية التي اتكأت عليها العمارة في بعض دراساتها.

وتعد الفيزياء كذلك من العلوم التي اقتبست منها العمارة، فالنظرية النسبية أثّرت على المفاهيم السائدة في العالم ومنها العمارة، وقد أثّرت فكرة العالم السرجي المستندة إلى النظرية النسبية في التطبيقات المعمارية للمعمار العراقي قحطان المدفعي، فبحسب نظرية آينشتاين أن العالم مكوّن من شكل سرجي منحنٍ، وعليه فالمثلث المرسوم على سطح هذا الشكل لا يكون مجموع زواياه ١٨٠ درجة، كما هو متعارف عليه في الهندسة الإقليدية. وكان لهذه النظرية التي قدّمها هذا العالم أثر كبير في تغيير نظرة المجتمع إلى الكون، ورفض ما كان سائدا قبلها، ومن ثم ظهر تأثير ذلك في العمارة برفض الزوايا القائمة والسطوح المتعامدة التي ابتدأت بسطح كنيسة رونشامب للمعمار الفرنسي المشهور لوكوربوزيه، ومن الأعمال المعمارية التي يمكن أن تدرج ضمن أفكار النظرية النسبية جامع بنية في بغداد لمصممه المعمار العراقي قحطان المدفعي، لأسباب عديدة؛ منه رفض السطوح المستوية التي تشكل زاوية قائمة مع العمود واستخدام مفهوم القوس المتحرّك. ويقرّ قحطان المدفعي بأن مفهوم الشكل السرجي ساعده في التوصل إلى الأشكال المعمارية النهائية في تصميم هذا المسجد (الشكل ١٣).[93]

(الشكل١٣)
جامع بنية في بغداد
المصدر: شبكة الإنترنت

إن تقصي البحث عن العلوم والمعارف الأخرى التي اقتبست منها العمارة بعض المفاهيم واستطاع المعماريون إظهارها في نتاجاتهم وتصاميمهم، قد يقودنا إلى حقول معرفية أخرى غير التي ذكرت، منها الرياضيات التي ظهر تأثيرها في تصاميم بعض المعماريين.

خلاصة القول أن الاقتباس البلاغي الذي توسع ليشمل معارف أخرى غير مقتصر على النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة له ظلاله الواضحة في العمارة، إذ لم يقتصر الاقتباس المعماري على الأبنية الدينية والتاريخية بل امتد ليشمل الحقول التي تقع خارج نطاق العمارة.

التضمين في العمارة:

سبق أن ذكرنا أن التضمين في البلاغة يعني أن الشاعر يضمّن شعره شيئا من شعر غيره، مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهورًا عند البلغاء، ولا يختلف الأمر مع الناثر إذا ما ضمّن نثره كلامًا لغيره قصدًا للاستعانة على تأكيد المعنى المقصود.

وعند البحث عن ظلال هذا المفهوم في العمارة، يكون التضمين فيها مقتصرًا على إدخال المصمم شيئا من تصميم غيره في التصميم الذي يروم القيام به، ولا بد من التنبيه على ذلك، فإن لم يفعل فإن ذلك واقع لا محالة ضمن مفهوم السرقة، كما هو الحال في (السرقات الأدبية) التي تعني قيام الشاعر بالسطو على شعر غيره سواء أكان في اللفظ أو في المعنى، من دون التنبيه عليه، وهذا مصطلح مشهور في الدراسات الأدبية وألف فيه الكثير.

لذا فإن من لم ينبه من المعماريين على العناصر التي يأخذها من تصاميم غيره سيقع في فخ السرقة، وعند ذاك نطلق على الموضوع بصفته الشاملة (السرقات المعمارية)، وهو من الموضوعات الكبيرة التي تحتاج إلى باحث كبير في العمارة يتصدى له فيكون منصفًا في إعطاء كل ذي حق حقه من البراعة والإبداع والتميّز، وهو من قبل ذلك يحتاج إلى نزاهة عالية وحياديّة مطلقة لا يقوى عليها إلا أصحاب الهمم العالية والمبادئ الأصيلة لكي لا تضيع حقوق الآخرين.

ولا شك في أن هذا الموضوع قد يثير حساسية عند بعض المعماريين الذين قد يجدون في ذلك تجاوزًا على مكانتهم في الأوساط المعمارية، لذا فعلى الباحث أن يستند في وصفه على ألفاظ حكيمة لكي لا تثير حفيظة الآخرين.

ومن الأمور التي أراها في غاية الأهمية عند الحديث عن التضمين والسرقة أن لا نغفل مفهوم مصطلح نقدي آخر، وهو (التناص)، وهو من المصطلحات الأدبية أو النقدية المعاصرة، ويمكن تعريفه بأنه أحد مميّزات النص الأساسية التي تحيل إلى نصوص أخرى سابقة أو معاصرة له، ويظهر التناص في النتاج الأدبي بعد استيعاب غير محدد لنصوص مختلفة تكوّن طبقات جيولوجيّة نصيّة لمكوّن أيديولوجي شامل، لذا قيل إنه لا وجود لتعبير لا يفترض تعبيرًا آخر، ولا وجود لما يتوالد من ذاته، بل من وجود أحداث متسلسلة ومتتابعة، لذا فإن صفة الـ (لانهائية) تعدّ قانونًا للتناص بصفته مصطلحًا نقديًا أدبيًا حديثًا.[94]

إن ذكر هذا الموضوع، أعني (التناص) ليكون في المنطقة المحصورة بين (التضمين) و(السرقة) يتيح الفرصة المناسبة للناقد المعماري لالتماس بعض الأعذار أو التخريجات المقبولة لبعض المعماريين الذين قد تظهر في تصاميمهم آثار من تصاميم الآخرين.

أمثلة في التضمين المعماري

المثال الأول: الجدار الخارجي لجمعيّة الفنانين التشكيليين

ذهب الدكتور خالد السلطاني إلى أن جدار جمعيّة الفنانين التشكيليين العراقيين (الشكل١٤) التي صممها المهندس المعماري العراقي المشهور قحطان المدفعي، تضمّن حركة تصميمية مأخوذة من جدار البنك المركزي العراقي (الشكل١٥) وذلك بجعل القطع الكونكريتية التي بني منها جدار الجمعية تظهر بطريقة متعاقبة بين البروز والدخول، ثم جعل على القطع الكونكريتية البارزة أشكالا هندسية تحاكي صور العملات المعدنية التي ظهرت على القطع الكونكريتية في جدار البنك.[95]

الشكل (١٤)
جدار جمعية الفنانين التشكيليين
المصدر: الباحث

الشكل (١٥)
جدار البنك المركزي العراقي
المصدر: الباحث

٠إن هذا الذي ذكره الدكتور السلطاني يحتاج إلى نقاش، فاذا ما كان المعمار قحطان المدفعي قد أخذ أو تأثر بما موجود في جدار البنك المركزي وأقرّ بذلك فإن ذلك محسوب على التضمين المعماري الذي ذكرنا معناه آنفًا، وإذا ما كان الأمر غير ذلك ، كأن يكون الأخذ حاصلا من غير أن يقرّ به المدفعي فسيقع الأمر ضمن مصطلح نقدي آخر، فهل سيكون تناصّا معماريا أم سرقة؟ هذا سؤال الإجابة عليه تحتاج إلى كثير من التأني والحكمة.

المثال الثاني: الأقواس المفتوحة في دائرة البريد في منطقة العلاوي ببغداد

لم يقتصر تشخيص الدكتور السلطاني على ما ذكر في الفقرة السابقة، بل ذهب إلى أن القوس المفتوح في دائرة البريد في منطقة العلاوي، التي صممها قحطان المدفعي (الشكل١٦)، إنما كانت فكرته مأخوذة من القوس المفتوح في مدخل جامعة بغداد (الشكل١٧) الذي صممه المعمار الأمريكي والتر كروبيوس، وهنا نذكر ما ذكرناه آنفًا من أن ذلك يعد تضمينًا معماريا، لا يعدّ مأخذًا على المدفعي إذا ما أقرّ بذلك.

المثال الثالث: مسجد في مدينة الرمادي

هناك في مدينة الرمادي في الشارع المحاذي لنهر الفرات على السدّة المقامة بمحاذاة النهر مسجد (الرحمن الرحيم)، لفت نظري تصميم سياجه الذي يظهر في (الشكل١٨)، وقد ذكّرني بخلفية صورة للرئيس السابق صدام حسين كانت موضوعة في مدخل بناية دائرة المخابرات العامّة يراها المارّ من الطريق الواصل بين ساحة الفارس العربي في المنصور وساحة النسور في اليرموك (الشكل ١٩) ، إلا إن مصمم المسجد قد تصرّف بجداره مما جعله يبتعد قليلا عن الشكل الأصلي لخلفيّة الصورة، وذلك بقطع رأسي المثلثين المختلفين بالارتفاع، ولكن الإيحاء بقي واحدًا، كما هو الحال في المثالين السابقين، وهذا يعد تضمينًا معماريّا إذا ما أقرّ مصمم المسجد بذلك.

(الشكل١٦)
أقواس دائرة البريد في بغداد (علاوي الحلة)
المصدر: شبكة الإنترنت

(الشكل١٧)
قوس مدخل جامعة بغداد في الجادرية
المصدر: شبكة الإنترنت

(الشكل١٨)
مسجد الرحمن الرحيم
في الرمادي
المصدر: الباحث

(الشكل١٩)
مخطط يمثل شكل الصورة
المذكورة في الشرح
المصدر: الباحث

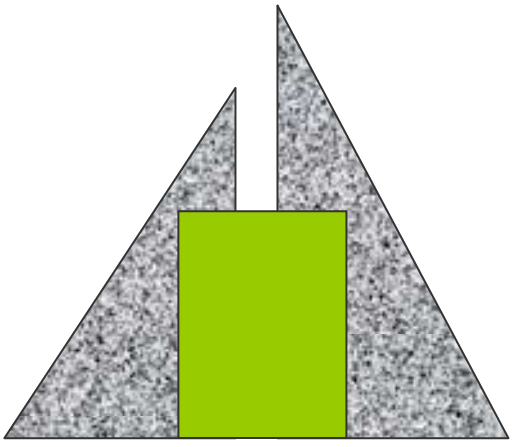

ومن الأمور التي أرى من الدقّة الإشارة إليها، أننا نلاحظ أن التضمين في العمارة قد انحرف قليلا عن معناه البلاغي، وذلك لأن التضمين البلاغي اقتصر على أخذ النص الشعري بيتًا كان أو نصف بيت، وإيداعه كما هو في شعر الغير، أما في العمارة فنلاحظ أن الأمثلة جميعها قد انطوت على شيء من الاختلاف الذي أراه مقصودًا في بعض الأحيان، لكي يتلافى المعماري انتقاد الآخرين له، وهذا إذا أردنا أن نحسن الظن بالآخذ سميناه تضمينًا، وإن لم نكن كذلك وكان الآخذ قاصدًا لهذا الإخفاء فإن ذلك واقع في حيز السرقة، إلا إذا كان لـ (التناص) نصيب من هذا الحكم النقدي.

النتائج والتوصيات:

١. بيّن البحث بصورة جليّة أن مصطلحي (الاقتباس والتضمين) اللذين يقعان في حيّز الدراسة البلاغية، لهما حضورهما الكبير في العمارة.
٢. إن التوسع في مصطلح الاقتباس معماريا، وذلك بجعل (الاقتباس المعماري) لا يناظر بصورة تامّة (الاقتباس البلاغي)، وإنما امتد إلى معان أخرى، يشير إلى إمكانية التعامل المرن مع المفاهيم البلاغية وتطويعها معماريّا.
٣. انحرف مفهوم (التضمين المعماري) عن المعنى الدقيق لـ (التضمين البلاغي)، وذلك عائد إلى طبيعة التعاطي مع المفاهيم في الحقلين البلاغي والمعماري، وهذا مرتبط بالاختلاف بين الحقلين على الرغم من التوافق الكبير بينهما.
٤. إن وجود أمثلة معمارية شاخصة للعيان لمعماريين مشهورين تتضمّن معاني الاقتباس والتضمين من دون أن يطّلعوا على هذين المصطلحين بلاغيّا، يشير إلى وجود توافق في الرؤى الفكرية الموجودة في الطبقة العميقة من تكوين الشخصيّة المعمارية المبدعة مع نظيرتها في شخصية البلاغي، وهذا يدفع الباحث إلى الجزم بوجود توافقات في مصطلحات ومفاهيم علمية وجمالية أخرى.
٥. يحفّز البحث على الشروع بوضع أسس نقدية معمارية جديدة تختلف عن الأسس السائدة في الوسط المعماري اعتمادًا على المصطلحات البلاغية في الدرس البلاغي العربي، ولاسيما أن الثراء الذي تمتاز به البلاغة العربية يغري الباحثين بذلك. وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال الاستغناء عن المناهج النقدية المعمارية التي يتعاطاها نقاد العمارة الآن.

وتأسيسًا على كل ما تقدّم يوصي البحث بما يأتي:

١. تدريس مادة اللغة العربية في أقسام الهندسة المعمارية في مرحلتي الماجستير والدكتوراه في فصلين دراسيين؛ على أن يتضمّن الأول منهما عرضًا عامًا لموضوعات اللغة العربية التي تمكّن طالب الدراسة العليا من تجاوز الأغلاط اللغوية وتحسين أسلوب كتابته عند إعداد رسالة الماجستير أو أطروحة الدكتوراه، ويكون الفصل الثاني منهما مقتصرًا على دراسة مادة البلاغة العربية، وذلك بشرح مجموعة من المصطلحات البلاغية، وإعطاء كل طالب مصطلحًا منها، ليبحث عن ظلاله في العمارة، وقد أجريت هذا الأمر مع طلبة الماجستير في قسم الهندسة المعمارية، في كلية الهندسة بجامعة بغداد في العام الدراسي (٢٠٠٨-٢٠٠٩) ، وكانت النتائج باهرة عند عدد كبير منهم، وإن تعذّر حصول ذلك عند آخرين.
٢. عدم الاقتصار على المدارس النقدية الحديثة عند تدريس مادة النقد المعماري في مرحلة البكالوريوس، وتشجيع الطلبة وحثّهم في هذه المرحلة على الاستزادة من قراءة الأدب العربي شعرًا ونثرًا، لإثراء خزينهم المعرفي وتربية أذواقهم ، ليظهر أثر ذلك في نتاجاتهم المعمارية لاحقًا.
٣. حث التدريسيين وطلبة الدراسات العليا على إجراء بحوث مشتركة تأخذ بطرف من العمارة وبطرف من اللغة، لتكون لهذه البحوث نكهة خاصّة وفائدة كبيرة لا نجدها في أي من بحوث الحقلين إذا ما أجري منفردًا عن الآخر.

الهوامش:

١) النمل، ٧.
٢) ينظر: العين، ٨٦/٥، لسان العرب (قبس)، ١٦٧/٦، مختار الصحاح، ٢١٧، المصباح المنير، ٤٨٧/٢، القاموس المحيط، ٧٢٨/١.
٣) الحديد، ١٣.
٤) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ٣٨١/١، وينظر: التعريفات، ٤٩/١.
٥) خزانة الأدب: ٤٥٥/٢.
٦) ينظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ٢٣٧/١.
٧) المثل السائر، ١٣٧/١.
٨) خزانة الأدب، ٢/ ٤٥٥. وقوله: (إن إلينا ....) اقتباس من (الآيتين ٢٥،٢٦) من سورة الغاشية، أما ما ورد في البيت فهو اقتباس من الآية ٣٦، في سورة المؤمنون.
٩) ينظر: م.ن ، ٤٥٧/٢.
١٠)خزانة الأدب، ٢/ ٤٥٦.
١١)ثمار القلوب من المضاف والمنسوب، ١/ ٢٣٠.
١٢)يوسف، ٨٨

١٣)يوسف، ٧٨.
١٤)خزانة الأدب، ٢/ ٢٢٦.
١٥)النساء، ١٤٠.
١٦)فصّلت، ٣٤.
١٧)خزانة الأدب، ٢/ ٦٨.
١٨)الإيضاح في علوم البلاغة، ١/ ٣٨٢.
١٩)آل عمران، ١١٨.
٢٠)خزانة الأدب، ٢/ ٤٥٧.
٢١)الفرقان، ٢٧.
٢٢)ينظر: خزانة الأدب، ٢/ ٧١.
٢٣)الأنبياء، ٣٧.
٢٤)خزانة الأدب، ٤٥٧/٢.
٢٥)الآية
٢٦)خزانة الأدب، ٤٥٧/٢.
٢٧)الكهف، ٦.
٢٨)الإيضاح في علوم البلاغة، ٣٨٢/١.
٢٩)يوسف، ١٨.
٣٠)آل عمران، ١٧٣.
٣١)خزانة الأدب، ٤٧٧/٢.
٣٢)طه، ١٨.
٣٣)النجم، ٦، ٧، ٨، ٩.
٣٤)الأحقاف، ٢٥.
٣٥)يس، ٢٦، ٢٧.
٣٦)المثل السائر، ٣٢٨/٢.
٣٧)الحديد، ١٣.
٣٨)المثل السائر، ١٢٦/١.
٣٩)يوسف، ٤٦.
٤٠)المثل السائر، ١٢٩/١.
٤١)يوسف، ١٠.
٤٢)يوسف، ٧٧.
٤٣)المثل السائر، ٣٢٨/٢.
٤٤)النبأ، ٣٨.
٤٥)المثل السائر، ١٣٦/٢.
٤٦)غافر، ٤٦.
٤٧)إبراهيم، ٢١.
٤٨)خزانة الأدب، ٤٥٧/٢.
٤٩)صحيح مسلم، رقم الحديث: ٥٠٤٩. مسند أحمد، رقم الحديث: ٧٢١٦.
٥٠)ينظر: خزانة الأدب، ٢/ ٤٥٧.
٥١)المثل السائر، ١٤٣/١.
٥٢)صحيح البخاري، رقم الحديث: ٥٤٩٤.
٥٣)صحيح مسلم، رقم الحديث: ٣٩٤٥.
٥٤)المثل السائر، ١/ ١٤٠. يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلّم في غزوة حنين، نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الأرض ثم استقبل به وجوههم(أي الأعداء) فقال: شاهت الوجوه، فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة، فولوا مدبرين فهزمهم الله ، وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين. (صحيح مسلم، رقم الحديث: ٣٣٢٨)، وأما حديث حيزوم فقد رواه مسلم (رقم الحديث: ٣٣٠٩).
٥٥)نفسه.
٥٦)صحيح البخاري، رقم الحديث: ٣٠٠٥، صحيح مسلم، رقم الحديث: ٥٠٥٣.
٥٧)خزانة الأدب، ٤٥٦/٢، ٤٥٧. البقرة، ١٥٦.
٥٨)خزانة الأدب، ٤٥٧/٢.
٥٩)ينظر: خزانة الأدب، ٤٧٥/٢.

٦٠)خزانة الأدب، ٢/ ٤٧٦.
٦١)نفسه.
٦٢)نفسه.
٦٣)ينظر: خزانة الأدب، ٤٧٦/٢.
٦٤)شرح ابن عقيل، ١/ ٢١٥.
٦٥)خزانة الأدب، ٤٧٣/٢.
٦٦)البقرة، ١٧٨.
٦٧)ينظر: فقه السنّة ، ٢/ ٤٤٦، ٤٤٧.
٦٨)نفسه.
٦٩)المائدة، ٣٨.
٧٠)ينظر: فقه السنّة، ٢/ ٤١٠-٤١٣.
٧١)ينظر: فقه السنّة، ٣/ ٢٣٦، ٢٣٧.
٧٢)خزانة الأدب، ٢/ ٤٧٤.
٧٣)ينظر: فقه السنّة، ٢٧٦- ٢٨٣.
٧٤)ينظر: ميزان الذهب، ٣، ٢٤.
٧٥)خزانة الأدب، ٤٧٦/٢.
٧٦)ينظر: لسان العرب، مادة (ضمن)، ٢٥٨،٢٥٧/١٣. والتوقيف على مهمات التعاريف، ٨٤/١.
٧٧)الإيضاح في علوم البلاغة، ٣٨٤/١.
٧٨)المثل السائر، ٣٢٦/٢.
٧٩)م.ن، ٤٥٩/٢.
٨٠)ينظر: المثل السائر، ٢/ ٣٢٦.
٨١)الإيضاح في علوم البلاغة،٣٨٤/١.
٨٢)المثل السائر، ٣٢٨/٢.
٨٣)ينظر: المثل السائر،٣٢٨/٢.
٨٤)خزانة الأدب، ٣١١/٢.
٨٥)الإيضاح في علوم البلاغة، ١/ ٣٨١،٣٨٠.
٨٦)خزانة الأدب، ٣١١/٢.
٨٧)ينظر: خزانة الأدب، ٣١٤/٢.
٨٨)خزانة الأدب: ٣٢٣/٢.
٨٩)معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ،١/ ٣٦٤-٣٦٥ .
٩٠)ينظر: مناهج النقد المعماري، ٢٢،٢٣.
٩١)ينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ١٦٩.
٩٢)ينظر: مناهج النقد المعماري، ١٥.
٩٣)ينظر: ثمانينية الدكتور قحطان المدفعي: التعقيد والتعبيرية في العمارة، مقالة للدكتور خالد السلطاني، على موقع (منتدى طالب منتداك)، على شبكة الإنترنت.
(94) ينظر: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ٢١٥.
(95) ينظر: ثمانينية قحطان المدفعي: التعقيد والتعبيرية في العمارة، مقالة للدكتور خالد السلطاني، شبكة الإنترنت،موقع منتدى طالب منتدك.

المصادر والمراجع

١) الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين بن عمر القزويني، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٤، ١٩٩٨م.
٢) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحـ: ابراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
٣) ثمار القلوب من المضاف والمنسوب، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٦٥.
٤) خزانة الأدب، تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي الأرزي (ت ٨٣٧هـ)، تحـ: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
٥) شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمذاني المصري (ت٦٧٢هـ)، تحـ : محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١٤، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٦) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي (ت٨٢١هـ)، تحـ: د.يوسف علي الطويل، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٧م.
٧) صحيح البخاري، الإمام البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، دار القلم، بيروت، ١٩٨٧م.
٨) صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٨٥م.
١٠) العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ، تحـ : الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠م .
١١) فقه السنّة، السيد سابق، دار الفكر، بيروت، ط٤، ١٩٨٣م.
١٢) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧ هـ).
١٣) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط١، (لا.ت).
١٤) المثل السائر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي (ت٦٣٧هـ)، تحـ: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
١٥) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت ٧٢١ هـ)، تحـ: محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٥م.
١٦) مسند الإمام أحمد، الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠م.
١٧) المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠ هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، (لا.ت)
١٨) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (لا.ت)
١٩) معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها، د. أحمد مطلوب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٢٠) ميزان الذهب في صناعة شعر العرب، السيد أحمد الهاشمي، مكتبة النقاء، بغداد، ١٩٨٢م.

الرسائل والمقالات

١. مناهج النقد المعماري، ينار حسن جدو، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الهندسة المعمارية، في كلية الهندسة / جامعة بغداد، ١٩٩٣م.
٢. ثمانينية قحطان المدفعي: التعقيد والتعبيرية في العمارة، مقالة للدكتور خالد السلطاني، شبكة الإنترنت،موقع منتدى طالب منتداك.

المصادر الأجنبية

١) بعض مواقع الأنترنيت
٢) مجلة (The World of Contemporary Architecture). (CD)

تم بعون الله وتوفيقه